الكُرد قاطبة، والاسقف كان المار كبرييل أسقف أورمية وعلى الرغم من اشارة ويگرام الى اهتزاز الضمير الكُردي بسبب هذه الحادثة فانه لايشير لا من قريب ولا من بعيد الى الاسباب التي جعلت هذا الرجل المعروف -الشيخ صديق- يقوم بهذا العمل. لانعتقد قطعاً ان هذا العمل لم يكن وراءه سبب ما، والا فإن الشيخ صديق لايمكن ان يقوم بمثل هذا العمل الذي لابدّ وان يؤدي الى استفحال العداء بينه وبين المسيحيين وقد يمتد هذا العداء الى ما وراء حدود الدولة العثمانية، ونقصد بريطانيا وهو يدرك ذلك في حين ان اتجاه الشمزينان في اول مؤتمر كردي واسع عقده جده الشيخ عبيدالله الشمزيني هو إحترام المسيحيين والتعامل معهم في الناحية القومية كونهم أكراداً وقد كان وزير خارجية الشيخ عبيدالله في نواة الحكومة التي وضعها قبيل ثورته، مسيحياً (ارمنياً)، هذا من جهة ومن جهة أخرى لقد كان الشيخ صديق حريصاً على ان يضع رصيده المالي في إنكلترا وطلب توصية أو تزكية من ويگرام (وهو رجل دين مسيحي) وهذا يعني ان الشيخ صديق كان لايثق بالدولة العثمانية في ان يؤمن امواله في مصارفها فاتجه الى البنك البريطاني على أي حال ان وجهة النظر الأخرى لم يذكرها ويگرام.

طاهر بك

إلتقى سون بطاهر بك وكان يحل في غرفة تقع في الجناح الذي يسكن فيه طاهر بك من القصر وطاهر بك الذي كما قلنا هو الابن الثاني لعثمان بك من زوجته الأولى.

يقول عنه سون، لقد طار صيت هذا الزعيم وله ممتلكات في حلبجة كما وانه عرف بمهارته الادبية وهو يتكلم الى جانب لغته الكُردية، الفارسية والتركية ويعرف شيئاً قليلاً من الفرنسية، لكنه يقرض الشعر بالكُردية، وله بيت مفتوح يختلف اليه الضيوف في كل اوقات النهار.

يقول سون لقد رد تحيتي بلغة فارسية سليمة ومن دون أي اثر للهجة كردية فيها ودعاني الى الجلوس بجانبه وعندما علم من اني اتكلم الفرنسية اجاب بانه هو ايضاً يعرف قليلاً منها. وهذا ما يعده سون شيئاً مستغرباً من زعيم كردي لم يغادر وطنه ويتكلم الفرنسية.

ان من علامات إحترام طاهر بك للضيف ما اشار اليه سون عندما قدم له سيكارة من علبته واشعلها بنفسه. ويبدو ان طاهر بك كان اذا لم يرق له حديث فانه يقطع المقابلة ويغادر فجأة ونعتقد ان هذا ربما كان من سمات شخصيته الادبية أو الشاعرية وهي مسألة ترتبط برهافة الحس لديه ان هذا محض استنتاج من عبارة جاءت في مذكرات سون مشيراً إلى حضور موظف تركي من خانقين وكان ثرثاراً فقطع طاهر بك المقابلة على حين غرة وانسحب الى غرفة

خاصة فما كان من الحضور إلا ان يتفرقوا ويذهب كل الى حال سبيله (٢٩١-٩٢).

ومن الموضوعات التي دارت بين سون وطاهر بك خلال اللقاءات التي تمت بينهما موضوعات لغوية وأخرى سياسية ومن الموضوعات اللغوية حديث طاهر بك عن خصائص كل من اللغة الفارسية والفرنسية اما الموضوعات السياسية فكانت اسئلة وجهها طاهر بك الى سون عن الاماكن المختلفة أي الدول. ومن الموضوعات التي تكلم بها القضيتان البلقانية والكريتية، ويعترف سون ان اطلاع طاهر بك على هذه الموضوعات ومعرفته بها كانت إطلاعاً رائعاً يفوق إطلاعه شخصياً. ويذكر سون بانه اعطى الى طاهر بيك بعض المعلومات عن مناطق قريبة ويعني بها الحدود الشمالية إذ كان الأتراك يعتدون على الاراضي الفارسية (٣٠٤-٥).

يبدو ان طاهر بك من خلال خبرة ماضية قد افصح عن موقفه بإزاء النشاطات الاجنبية المحتملة في المنطقة ومنها النشاطات التجسسية ...

ان أمين أفندي وهو شخص الماني بالاصل يدعي الطب كان يعيش في حلبجة ويبدو انه امتعض لمجيء سون الى حلبجة وظنه طبيباً قد ينافسه وقص على سون قصة جاسوس ادعى انه دانماركي ولكنه تبين انه روسي جاء الى المنطقة تحت ستار اجراء بحوث في لهجة هاورمان ثم خامر الشك طاهر بك بإزاء هذا الشخص الذي كان يحمل ناظوراً والة تصوير وطرد من المنطقة.

لقد اوحى أمين أفندي الى سون ان طاهر بك بدأ يشك في امره وقد نصح السيدة عادلة بان تضعه تحت المراقبة، ويبدو ان سون اراد ان يسفه اقوال أمين أفندي فلم يعره إهتماماً أو يظهر قلقاً لكنه في الوقت ذاته قرر ان يختبر طاهر بك ما اذا كان قد بدأ يشك في امره أي في صدق هويته، يقول سون حول ذلك، قررت ان امضي الى بيت طاهر بك واتظاهر باستنكار عظيم قوي لمثل هذه المعاملة التي يلقاها ضيفه والقيام بوداعه للرحيل المفاجيء وبهذه الطريقة وفي ضوء تصرفه بازائها استطيع ان اقف على افكاره تماماً فان كان مرتاباً مني فلن يعترض على رحيلي ابداً.

ويبدو ان سون نجح في اختباره هذا، فقد استثارت عبارته طاهر بك الذي اخذ يستوضح من سون الامر وكذلك فقد استنكر الحضور موقف أمين أفندي استنكاراً عظيماً، وقد جرت محاكمته من قبل السيدة عادلة التي أهانته -أهانت أمين أفندي- اهانة تفوق الوصف وجدها سون مبالغاً فيها فقد أمرته بعد سيل من ابشع الشتائم ان يعتذر على ان يستخدم جملاً تدل على الضعة والمهانة وتردد أمين أفندي في ذلك بادئاً ولكن صوت إطلاقة ادخلت في سبطانة بندقية وإحساسه برأس خنجر في قفاه جعلاه يخنع ويردد العبارات التي طلب منه ان

يستخدمها في اعتذاره ولم نجد ضرورة لذكرها في كتابنا هذا وان كان سون قد ذكرها (١٧-٣١٦).

وعندما طلب سون من السيدة عادلة ان تعفو عنه وان تخلي سبيله امرته بالخروج من الغرفة زاحفاً وسط استهزاء الخادمات ولكن هل كان طاهر بك حقاً مقتنعاً بأن ميرزا غلام هذا هو فعلاً ميرزا غلام القادم من إيران ام انه اراد ان يستكنه غور الامور؟ هذا ربما ستكشف عنه الأيام. ولكننا لانعتقد ان هذه الثقة العالية جداً بـ(ميرزا غلام) من قبل كل من عادلة خان وطاهر بك مقنعة بشكلها الظاهري فضلاً عن التمييز الشديد وردود الفعل العالية ضد خصومه كالتحقير والتهديد لشيخ الإسلام ولأمين أفندي وهما لم يفعلا ما يستوجب كل ذلك مثلما هو أي سون (ميرزا غلام) لم يكن يستحق كل هذه الحظوة من المنظور الاعتيادي.

الحقيقة التقى سون بعدد من الشخصيات في حلبجة ولكن كانت لقاءات قصيرة لم تتضح كإنطباعات كافية لدى سون للكتابة عنها.

طه شمزيني

يذكر هاملتون، انه اشير عليه بزيارة حاكم منطقة راوندوز الكُردي الشيخ سيد طه الشهير وبذل المحاولة لكسب معاونته الضرورية جداً. ويضيف ان سيد طه كان حاكم الاقليم الفعلي ولم تفرض عليه بغداد حتى ذلك الحين اياً من الأوامر الا فيما ندر على ان وجود مخافر الشرطة فضلاً عن الطريق الذي كان هاملتون يشقه ترمي الى تقويض صرح الحصن الجبلي الذي يحكمه هذا الرجل الذي يصفه هاملتون بالطاغية الذكي، واامير من اواخر امراء الاقطاع في كُردستان، ويسترسل هاملتون في وصف شخصيته فيذكر انه كان مستفيض الشهرة، وهو بالقياس الى الكُردي العادي عالي الثقافة لايستهان به من الدراية بفنون الحكم والادارة، وهو ينحدر من اصل كردي عريق فضلاً عن كونه (شيخاً). وللقب الشيخ في كُردستان معنى بعيد كل البعد عما يقصد به عند العرب، فهو في كُردستان صفة تطلق على كل من حاز سلطاناً دينياً مخصوصاً. وبعض الكُرد يعتقد ان المعجزات تأتي على يد (سيد طه) فيقصدونه من بعيد، ليضع يده عليهم فيطرد عنهم الاسقام والعلل، وهو امام الإنكليز يذكر وجود هذه القوى.

السيد طه فارع الطول تزيد قامته عن ست أقدام متين الألواح شديد الفصل يرغب في استعراض قوة تحمله الجسدية الخلاقة في سنوات طويلة على ظهور الخيل وفي انجاز مآثر فريدة بتسلق اصعب الجبال وهو في لعبة (البولو) فارس لايشق له غبار بل خير من يطلق النار على الهدف في طول البلاد وعرضها. وقيل والعهدة على الراوي انه يصيب عشر لفافات تبغ

على التوالي من مسافة ثلاثين خطوة بالبندقية الحربية الإنكليزية وهو يفضلها دائماً على السلاح الروسي والتركي وله صيت ذائع في صيد الدببة والوعول والفهود، وكان في كل خريف يقضي عدة اسابيع بين شعاب الجبال ويدعو بهذه المناسبة احياناً ضابطاً أو ضابطين من معسكر الليفي. فيعودون وهم بلا استثناء السنة إعجاب تلهج بمهارته وجلده.

ولقد تأكد لدى هاملتون ان نجاحه في عمله لا بل سلامة حياته مرهون اساساً بموقف هذا الرجل منه اذ يقول هاملتون، لو شاء، فنفوذه كاف لنقله من المنطقة متعللاً باي حجة. وان ظن ان الطريق الجديدة ستكون خطراً على نفوذه فلا اسهل عليه من ازاحة هاملتون باسلوب اقل رسمية وهو في مركزه هذا مسؤول عن سلوك رجال القبائل. فكل ضعف في ادائه يشجع على الفوضى وخرق القانون وبذلك يعرقل عمل هاملتون حتماً. مجمل القول ان سيد طه رجل خطير من وجهة نظر هاملتون قبل الشروع بسفرته فقد التقاه في مضيق سبيلك ويصف اللقاء الاول بسيد طه اذ يذكر انه لمح رتلاً طويلاً من الفرسان الشاكي السلاح يملأون الطريق القديم مندسين بين العمال المنصرفين الى واجباتهم وما ان اقبل (الشيخ) حتى دارت الهمسات بين العمال وتركوا العمل وتوجهوا جماعات جماعات للسلام على الزعيم الشهير أثناء مروره وكان يرافقه عدد كبير من الخدم والحشم والموظفين والمترجمين وقطار من البغال المحملة بالبضائع المبتاعة وقد رصت رصاً فوق ظهورها. كان الموكب قادماً من بغداد اذ اجرى الشيخ حديثاً مع الملك فيصل والمندوب السامي. ويذكر هاملتون ان الشيخ بدا له مثال الأمير الشيخ في بلاد بعيدة عن المدينة وهو على صهوة جواد ضخم الهيكل فاحم اللون ينقل قوائمه بحذر ودقة بين الصخور المسننة الحادة حتى اذا اردنا ترجل راكبه وحياني بإنكليزية جيدة جداً. لقد كنت اعده افرع قامة من معظم الناس كما سبق لي ان علمت في العراق انه من المفيد جداً ان تبدو متعاظماً ذا هيبة عند التعامل مع الزعماء المحليين لكني شعرت باني اكاد اكون لا شيء امام هذا الهيكل الدبلوماسي الضخم الباسم الذي راح يوجه اليّ اسئلة مؤدبة وهو يحدجني بمقلتيه.

- كيف يسير العمل بكم؟ متى ستبلغ راوندوز؟

- أي خدمة استطيعها للتعجيل به؟

ان هاملتون (الإنكليزي) لايمكن ان يفوت هذه المجاملة دون تقليب وتمحيص، فقد اخذ يسأل نفسه أحقاً يرغب السيد طه في ان تنسف ابواب حصن وقلاع اجداده؟

لان هذا الطريق في الحقيقة سوف يسهل وييسر عملية اسقاطه من قبل حكومة المركز، فهل كان سيد طه يرى في الطريق الجديد الممهد هذا فائدة لبني قومه وان كانت فيه خطورة تتعلق بتقويض سلطانه؟

ان هاملتون وضع فرضيتين إزاء موقف سيد طه، فاما ان يكون كاذباً في موقفه الظاهري هذا واما ان يكون خاسراً في لعبه، أو لعله قد جمع بين الامرين.

ان إنطباعات هاملتون عن شخصية سيد طه انه ملك في كُردستان، عزيز الجانب، تهابه رعيته ان لم تحبه. ارغمته الظروف القاهرة على الخضوع الى حكومة تدعمها حراب البريطانيين ونفوذهم ويعتقد هاملتون ان سيد طه مدين للإنكليز فلو اسره الأتراك لنفذوا به حكم الاعدام فقد كان -وهو زعيم قبائل ثارت على الأتراك- شوكة اليمة في جنبهم سنيناً عديدة، وكذلك لو تمكنت منه الحكومة الإيرانية ايضاً اما وزراء بغداد العرب فيسرهم جداً ان يسحقوه لو سمح لهم المندوب السامي البريطاني انه ليعلو على زعماء الكُرد الآخرين. انه عظمة مغروزة وحيدة لانه محاط باعداء محفزين من كل جانب والإنكليز وحدهم حماته. وهو لايجهل هذه الحقيقة وبعد ان قدم الشيخ سيد طه، تحياته الدبلوماسية ووزن شخصية المهندس هاملتون امتطى جواده واستأنف رحلته في سبيلك.

لقد ترك السيد طه، هاملتون يضرب أخماساً بأسداس -حسب تعبير هاملتون- حول حقيقة رأيه بالطريق الذي سيصل الى منطقة نفوذه عن قريب، لكن صلة هاملتون توثقت به وزادت، معرفته له واصاب من حسن نواياه فوائد جمة، وقد اسهمت الشرطة الخاصة بالسيد طه في حفظ امن المنطقة التي كان يعمل فيها هاملتون ويصفها بانها كانت حراسة لاتثمن.

وآخر إنطباعات هاملتون عن سياسة سيد طه، انه كان يسوس اتباعه بحكمة مع قسوة فيه، الا ان استقلاليته وفرديته، وانفته وكلها من طباع سكان هذه الجبال - سببت له نكسات قاصمة ادت الى سقوطه (٨١-٥).

عادلة خان (الجاف)

ما ان وصل سون حلبجة حتى ذهب الى بيت طاهر بك الإبن الثاني لعثمان باشا من زوجته الأولى وهو موصول ببيت السيدة عادلة زوجة عثمان باشا، باشا حلبجة الذي كان قد اوكل الامور في إدارة المدينة إلى زوجته. وقد عرض نفسه على انه تاجر وكاتب فارسي يجوب ديار السيدة عادلة ويرتكن الى فضلها ويذكر سون انها أي السيدة عادلة جادت عليه بغرفة في بيت طاهر بك وبعد ان يصف اصول الضيافة التي اشرنا اليها في موقع اخر من هذا الكتاب التقته السيدة عادلة وحادثته. ولقد وضع سون عبارة (سيدة عظيمة) تحت مذكراته فيما يخص السيدة عادلة (٢٨٨).

يصف سون الغرفة والاثاث التي التقى فيها السيدة عادلة، اما فيما يخص شخصها

فيقول عنها، ان اللمحة الأولى دلت على انها من اصل كردي خالص. ان وجهها ضيق بيضوي وهي فوهاء نوعاً ما وذات عينين صغيرتين سوداوين براقتين وانف نسري قليلاً وكلها امارات دالة على ذلك الاصل وتنسجم نحافتها تماماً مع العادة المتبعة للقوام الكُردي وهو قوام لاتعتوره سمنة. ثم يسترسل سون في وصف الزي الذي ترتديه السيدة عادلة وقد دامت المقابلة الأولى ساعة وزيادة قرأ فيها سون رسالة فارسية للسيدة عادلة التي اعجبت بقراءته السليمة ويقول سون لقد كانت مشوقة الى ان تعرف ان كنت مرتاحاً تماماً (٢٨٩-٩١).

ويذكر سون ان السيدة عادلة هي التي كانت قد خططت بناء سوق المدينة في حلبجة (٢٩٥). كما وانه يقول عنها، هذه الامرأة الخارقة التي احل في بيتها ضيفاً. انها في الإسلام لامرأة لا كفاء لها ولا لها نظير في القوة التي تملكها وفي القدرة التي تصنعها في استعمال ما لديها من اسلحة (٢٧٦) ويبدي سون إعجابه في الطريقة التي دعمت بها السيدة عادلة مركزها وشخصيتها في حلبجة اذ يقول ما ان حلت السيدة عادلة في حلبجة الا اسرعت في تدعيم مركزها يساعدها على ذلك ما لأسرتها من إحترام وهيبة وهو امر لم يعارض فيه عثمان باشا زوج السيدة عادلة ابداً.

لقد شيدت بيتين فاخرين لا نظير لهما في السليمانية ذلك على طراز مدينة سنه قام به بناءون من إيران.

واستطاعت السيدة عادلة ان تثبت وجودها من خلال استضافتها للأكراد والفرس وجعل الطريق بين حلبجة وسنه سالكة وهي مسافة خمسة أيام سيراً واخذت تمسك بزمام الامور ادارياً وبشكل تدريجي، ذلك ان زوجها عثمان باشا كثيراً ما كان يستدعى الى الموصل وكركوك والسليمانية في مهمات رسمية فأخذت عادلة تحكم بالنيابة عن زوجها. فبنت سجناً جديداً واقامت محكمة قضائية كانت هي رئيسة المحكمة ويقول سون كان الباشا وهو في حلبجة يزجي الوقت بتدخين ناركيلته وببناء حمام جديد ويقوم بتحسينات بلدية على حين كانت زوجته هي (الحاكمة).

ويذكر سون في إنطباعاته ازدهار حركة التجارة في زمن السيدة عادلة وحظيت المنطقة بتقدم ملموس مما ازعج العثمانيين ان تكون هذه المنطقة القصية على حظ من الازدهار فأرادوا فرض سيطرتهم من خلال مد خط برقي وعبرت العشائر عن معارضتها بقطع الخط ونصحت السيدة عادلة الأتراك بألاّ يعمدوا الى اصلاحه وانذرتهم ان قومها سيقومون بقطعه وهي في الحقيقة لم تكن ترغب بتدخل الأتراك في منطقتها (٢٨٠-١).

يلخص سون إعجابه بهذه الامرأة قائلاً في هذه الزاوية القصية من الإمبراطورية التركية المتفسخة المتردية بقعة صغيرة فذة، تسامت تحت ظل حكم امرأة كردية ونمت من قرية حتى غدت بلدة (٢٨٢).

عادلة خانم زوجة محمود باشا

لقد رافقت السيدة ريج زوجها ودونت بدروها بعضاً من المذكرات، وقد التقت بعادلة خانم زوجة محمود باشا عدة مرات.

تصف السيدة ريج بشكل جميل كيفية زيارتها لقصر الباشا واستقبالها من قبل عادلة خانم زوجة باشا السليمانية، أمير بابان.

الغريب، جاءت هذه الدعوة بعدما يقرب من الشهر على وصول ريج وزوجته الى السليمانية اذ وصل ريج السليمانية في العاشر من ايار بينما دعيت زوجة ريج من قبل زوجة الباشا في السادس من حزيران.

تقول السيدة ريج في وصف إنطباعاتها عن هذه الزيارة، عليّ ان اقضي اليوم بصحبة عائلة الباشا ولما كانت العادة في الشرق توجب على الزوار ان يقضوا يومهم -بالمعنى اللفظي- في الزيارة أكملت إستعدادي في العاشرة.

وتصف السيدة ريج كيف ان امرأة من القصر جاءت لتدلها على الطريق، وقد تحجبت السيدة ريج تحجباً كاملاً هي وخادمتها حتى بلغت دار الحرم الذي كان بابه صغيراً فاضطرت الى الانحناء.

تقول السيدة ريج انها استقبلت من قبل نسوة يسمين (قهرمانات) أو (كيوانيات) وقد سارت احدى القهرمانات على يمينها والأخرى على يسارها وصعدا الى باب غرفة واسعة اذ كانت زوجة الباشا في في استقبالها وتقف من ورائها شقيقات الباشا وعدة سيدات من العائلة ثم اديرت القهوة والحلوى والغلايين ويبدو ان السيدة ريج قد ضاق صدرها من كثرة المجاملات ومراسيمها في البداية ولكن بعد انتهاء هذه المراسيم عادت النسوة الى التصرف الاعتيادي والبشاشة ورفع الكلفة والكل يسعى من اجل راحة الضيفة.

تصف السيدة ريج زوجة الباشا، عادلة خانم، وهي من اقرباء الباشا والزواج ضمن العائلة هو السائد في هذه العائلة، وكانت عادلة خانم في السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين من عمرها ثم تصف ملامحها وتنتهي الى ان مسحة من الحزن واضحة على وجهها، وعلاقتها بزوجها علاقة وثيقة لكن الامراض التي كانت تفتك باطفالهم احالت حياتها وزوجها الى حياة حزن شديد وكانت تتحدث عن طفلها المريض وكأنه لن يبقى بدوره وقد نصحتها السيدة ريج بضرورة اخذ اللقاح فوافقت وتقول لو عرف الناس ان الباشا لقح طفله ضد الجدري فان الناس سوف تقبل على التلقيح ويكون لزيارتنا كُردستان فائدة اذا استطعنا من تخفيف وطأة الجدري.

لقد عاشت عادلة خانم سنوات طفولتها في بغداد وقد تعلمت التركية ولكنها تتحدثها بصعوبة واخيراً تقول السيدة ريج، لقد قضيت حقاً يوماً طيباً معها ومع جماعتها العديدات ورجعت الى البيت في الخامسة وانا اقل تعباً مما كنت اتوقع... (٢٧٤).

عبدالله باشا بابان

يبدو من مذكرات ريج انه كان يعرف عبدالله باشا عم محمود باشا السليمانية قبل سفر ريج إلى كُردستان، ربما كان قد تعرفه في بغداد وهو يصفه بـ(صديقي القديم) (٥٠).

يذكر ريج أول لقاء شخصي بينه وبين عبدالله باشا* بعد وصول ريج السليمانية. يذكر مجيء صديقه القديم عبدالله باشا بعد الظهر لمواجهته وكان قد تمرض مرضاً موجعاً طال أمده حتى كاد ريج ان لايعرفه من شدة تأثيره فيه وقد عانقه بسرعة ولهفة وقد عجز من فرط تأثره عن التكلم لبعض ثوان وهال ريج ما تركه المرض فيه من ضعف ونحول وهكذا كان تلاقيهما كئيباً في باديء الأمر -كما يذكر ريج- وان انبعث معهما الانتعاش عندما اخذا يتذكران الأيام الماضية وكان من السهل الإدراك ان أعضاء حكومة بغداد ولاسيّما داود باشا لم يكونوا عند حسن ظن عبدالله باشا ولايستغرب ريج من ذلك بل يعلق ان الأتراك عاملوه معاملة قاسية ومما لا شك فيه انه سينتهز الفرصة بدوره ليكيل لهم صاعاً بصاع بل اكثر من ذلك. ويذكر انه تكلم عن ابن اخيه باشا السليمانية انذاك بتعظيم ولطف وقد لاحظ ريج بعض التحرج** عنده. لقد قضى اكثر من ساعة مع ريج وتصافحا عند الوداع مصافحة حميمة (٥٣).

من خلال لقاء ثان بين ريج وعبدالله باشا يمكن التعرف على شخصية الثاني بشكل اوضح فقد زار ريج عبدالله باشا ويذكر انه كان قد تحسن صحياً بعض الشيء ولكنه لم يزل واهناً غاية الوهن وقد تكلم عن ذكريات بغداد دون شعور بالسرور وعلى اثر ذكر قريبه خالد باشا الذي كان يعيش في بغداد قال عبدالله باشا عنه، انه قضى الزمن الطويل وهو لايزال في بغداد فاضاع كل خصاله العشائرية ولقد اصبح كالتاجر لا اقل ولا اكثر.

ويذكر ريج ان عبدالله باشا لم يكن ممن يمتاز بالحرص على تقصي الاخبار ولكنه وجه اليه وللمرة الأولى الاسئلة العديدة مبتدئاً بـال(جين وما جين) على حد تعبير المسلمين عن بلاد

* عبدالله باشا: عم محمود باشا أمير بابان.

** لأن عبدالله كان قد إنشق عن إبن أخيه بتأثير من والي بغداد، ولكنه لم يعامل معاملة حسنة لقاء ما فعل وأرسل الى السليمانية في حالة مزرية.

الصين واستمر إلى ان اتى على ذكر موقف الدول الأوربية وقوة كل منها. وكان من الواضح انه لابدّ قد جرت بعض المداولات في تلك المواضيع بين افراد العائلة البابانية، وان صديقه عبدالله باشا اراد ان يهيء نفسه للمناقشة الثانية (٦٧).

لقد استنتج ريج ان عبدالله باشا لايتميز بوفرة الاطلاع في أحوال بلاده فيذكر انه لم يظفر بالكثير من المعلومات المجدية من محادثته فقد تكلم عن مناخ السليمانية وعن البرد الذي يشتد شتاءً وعلى الاخص عندما تهب الرياح الشرقية الشديدة واستطرد في الحديث عن المناخ في الصيف وكذلك عن العواصف المعروفة في السليمانية (رَشَبا) (٧٨).

ويذكر ريج موضوع توقيف عبدالله باشا من قبل ابن اخيه محمود باشا فقد اخفى عبدالله باشا كما اوضحنا في موضوع اخر من هذا الكتاب - كتاباً كان قد ورده من الشاهزاده أمير كرمنشاه يدعوه إلى كرمنشاه ويوعده بتقليده منصب باشا السليمانية ولم يعتقل محمود باشا عمه عبدالله باشا في البداية على الرغم من ان داود باشا والي بغداد العثماني كان يلح عليه بذلك، بل وضعه تحت المراقبة ولكنه بعد ذلك تأكد ان عبدالله باشا يعد العدة للفرار إلى كرمنشاه فاوقفه (١٠٣).

ان ريج لم يرض على ما يبدو من موقف عبدالله باشا التآمري بإزاء ابن اخيه محمود باشا فقبل سنة من إعتقاله الأخير كان عبدالله باشا في بغداد وقد أعلن موقفه الرافض والتآمري ضد ابن اخيه وغدر باشا بغداد العثماني بعبدالله باشا غدراً شنيعاً بتسليمه إلى محمود باشا، فأمسى عبدالله باشا تحت رحمة ابن اخيه الذي لو كان في موقف المنتقم منه لخف في القضاء عليه سراً أو علانية دون ابطاء ودون خشية حساب، ولكن لم يخطر على بال محمود باشا شيء من هذا القبيل بل عامله بالحسنى ومنحه منطقة من احسن مناطق كُردستان. ليستعين بمواردها على عيشه فضلاً عن تسوية ديونه جميعاً التي اثقلت كاهله خلال مكوثه في بغداد. وفي الحقيقة انه رأى محمود باشا منحه اكثر مما يستحق لاسيّما مطالب اعضاء عائلته الآخرين وعلى ذلك فان مقابلة هذا المعروف بتلك المقابلة المشينة لم تكن منبعثة الا عن حالة سوداوية (١٠٣-٤).

لقد وصف ريج الحالة بانها سوداوية ولكننا نعتقد ان جوهر المسألة هو الصراع على السلطة إذ يبدو ان عبدالله باشا كان شغوفاً وتواقاً للسلطة في السليمانية وربما اعتقد انه احق من ابن اخيه بها من جهة ومن جهة أخرى ربما كان غير مقتنع بجدارة ابن اخيه وقدراته السياسية والادارية مما جعله ينحاز إلى التيار المضاد لاتجاه محمود باشا فقد هادن الأخير الأتراك وكان مطيعاً اكثر مما يجب لباشا بغداد العثماني (داود باشا) مما جعل عبدالله باشا ينحاز إلى كل اتجاه مضاد إلى الاتجاه العثماني ومن هنا على ما نعتقد يتأتى التعاطف

الشديد بين ريج (البريطاني) وعبدالله باشا، ذلك ان الممثل البريطاني في بغداد اي مستر ريج لابد وانه كان غير راض عن الادارة العثمانية عموماً وفي المنطقة خصوصاً، لا بل أن الهدف غير المعلن من وجوده تقويض ذلك النظام فتكونت علاقة وصفها ريج بالصداقة القديمة بينه وبين عبدالله باشا. فضلاً عن هذا فان عبدالله باشا تعاطف في ذات الوقت مع الاتجاه الإيراني، فإيران كانت توافقه لخلع باشا السليمانية وتنصيب باشا جديد منحاز لها وغير متجاوب مع العثمانيين.

عبدالله باشا (باطاس)

إلتقى هَيْ بعبدالله باشا في قرية باطاس حيث كان يسكن، وعبدالله باشا في منظور مستر هَيْ، رجل رائع يتراوح عمره بين التسعين والمئة. ان جسمه لصغير واهن ويديه ترتعشان ورأسه يهتز على حين يمتلك عقلاً نشطاً جداً. انه يتكلم كثيراً، ويعيد كلامه غالباً، وله لحية قصيرة، ووجه شاحب وقد خطت السنون عليه اثارها.

ان عينيه سوداوان وحاجبيه مصبوغتان وملابسه مهلهلة يعلوها رداء طويل ومعطف عتيق وغطاء رأسه موشى بالذهب، وهو يمشي بوهن ويتكيء على عصا.

لقد نال رتبة باشا لخدمته الطويلة في الحكومة التركية وهذه الخبرة الطويلة جعلته انساناً حاذقاً وحصيفاً وقد اشتغل سنوات طويلة في الادارة في كُردستان، وبسبب معرفته الواسعة بالأكراد كانت الحكومة التركية تلجأ اليه في أيام العسر، وقد اوفد مرة الى السليمانية ليصلح بين شيوخ السليمانية والمتصرف (المحافظ) التركي، كما نال من شاه إيران وساماً لحسمه احدى المنازعات الناجمة بين قبائل الحدود، ثم اصبح موالياً للحكومة البريطانية.

ويعلق مستر هَيْ على علاقته مع البريطانيين انه يمكن الاعتماد على مشورته دوما ان لم تمس تلك المشورة اعداءه الشخصين أو ما يتعلق بنقوده، وقد قتل إبنه الوحيد (٢٣٠-١).

عبدالله آغا حويزي

التقى المستر هَيْ عبدالله آغا زعيم اسرة حويزى في مدينة كوى، كما يصفه مستر هَيْ فهو نحيل الجسم في نحو الـ(٦٥) من عمره له مظهر ثائر دوماً وحاجباه كثيفا الشعر وقد صبغا بلون أسود مائل الى الزرقة ويرتدي احياناً الملابس الأوربية وكان يشغل منصب رئيس البلدية.

عبد السلام البارزاني

يتحدث ويگرام عن الشيخ عبدالسلام البارزاني اذ يذكر ان الشيخ فضلاً عن كونه واحداً من اعظم زعماء الجبال نفوذاً فهو اكثرهم مهابة ومدعاة للإحترام ويسره في الوقت نفسه ان يعد الإنگليز أصدقاء شخصيين له.

يرى ويگرام ان شيخ بارزان كان سيداً أعلى، واسع الرحمة في منطقته وهو يدرك ان السبيل الأنفع له هو حماية رعيته لا التضييق عليها، كذلك فإنه قادر على التوفيق بين المسلمين والمسيحيين في منطقته وان الترك يكنون له الكراهية لانه قدير كفء. والشيخ كما يصف ويگرام، في نظر اتباعه ليس مجرد زعيم قبلي كبير فهم يعتقدون بقداسته الموروثة ورجال عشيرتهم اتباعه الروحيون (مريدون) (١٣٣).

ويرسم ويگرام (١٣٥) صورة قلمية جميلة لشيخ بارزان اذ يقول (عبدالسلام) شيخ بارزان رجل في مقتبل العمر يناهز الثامنة والعشرين وهو كمعظم سكان المنطقة ضامر الجسم ممتلىء حيوية ونشاطاً ذو وجه مهيب بشوش. كان يضع على رأسه عمامة بيضاء فوق قلنسوة، ويرتدي صداراً وسروالاً بلون ابيض وعليها جبة سوداء مطرزة بالاحمر وفوق الجميع عباءة خضراء وتتألف حاشيته من ثلاثين الى اربعين تابعاً مريداً يتميزون بعمائمهم الحمر ذات الاهداب السائبة وكان اكثرهم يحمل مئتي طلقة أو نحوها من الخرطوش الكروي وبنادقهم التي هي من طراز (شنايدر ومارتين) وكان الجميع يظهرون لزعيمهم الشاب أسمى مظاهر الطاعة والإحترام ولاجل ان نتقدم للقاريء بتفسير دقيق لما نقصد من الإحترام الذي يشعرون به نحوه علينا ان نذكر انه (مزار) أي مواطن زيارة بكل ما في هذه الكلمة من معنى وأوامره التي يلقيها على اتباعه الاقربين تطاع فوراً وتنفذ دون سؤال(١٣٥).

لايتكلم الشيخ مع رجاله إلاّ نادراً واذا تكلم مع أحدهم هش له وبش في كثير من الاحيان ابتسم ويبدو انهم لايبادلونه الحديث قط ولايتكلمون الا اذا سئلوا اما معنا فقد تحدث بمساعدة ترجمان فهو لايتكلم غير الكُردية وكانت الشؤون السياسية المحلية للريف مدار حديثنا معظم الوقت. وكان ينعى فقدان سيادة القانون في كل مكان.

يصف ويگرام العشاء الذي تناوله مع شيخ بارزان، فقد كان يتألف من لبن وارز مطبوخ بدجاج وشاركنا طعامنا الشيخ مع ثمانية أو عشرة من ابرز اتباعه. كلهم مدوا ايديهم الى الاطباق بملاعق خشبية ومغارف لم يأكلوا الا النزر اليسير، ولعل هذا من اداب السلوك (الاتكيت). ولقد ضرب الشيخ مثلاً بقلة الاكل فقد كان يشعر بوعكة (١٣٦).

والحقيقة ان ما اشار اليه ويگرام حول قلة الأكل والاتكيت أو آداب السلوك فقد يكون

صحيحاً ولكن وبقدر علمنا باعتدادنا أكراداً يمكن ان نقول ان الكُردي عموماً ليس بأكول، فالكُرد عموماً قليلو الاكل ولكن طعامهم غالباً عالي السعرات، مثل العسل والزبد والجوز واللوز والجبن والرز والبرغل، وقد ذكرنا موضوع الطعام الكُردي بشكل اكثر تفصيلاً في فصل الطعام. وهذا يصدق في الريف والمجتمع القبلي اكثر منه في المدن.

لقد ابدى الشيخ عبدالسلام البارزاني رغبته لمرافقته ويگرام ومن معه عند عودتهم الى إنكلترا ليطلب من رئيس أساقفة كانتربري فتح مدارس في قراه ثم يقصد الملك جورج بزيارة، ويجلس معه للبحث في قضية كُردستان والبت في أمر إستقلالها.

ونستنتج في ضوء هذه الرغبة التي يذكرها ويگرام ان الشيخ كان تواقاً فعلاً لتطوير المجتمع الكُردي ودفعه الى الركب الحضاري لان كثيراً من المتنفذين أو الاقطاعيين الكُرد لم يكونوا متحمسين لا بل كانوا يتصدون لاي نشاط تربوي أو ثقافي، إذ ان حالة الجهل في المجتمع تخدم مصالح المتنفذ ولهذا فليس من الغريب ان نجد حالات كثيرة من التصدي لفتح المدارس هنا وهناك وعلى قلتها، من قبل كثرة من المتنفذين الكُرد، حتى من قبل (بعض) رجال الدين ممن كانوا يتملقون ويداهنون الاقطاعيين حتى بلغ بهم الامر ان يصفوا العلوم التي يدرسها الطلبة في المدارس بـ(علوم الشيطان) لكي يحجم الاباء عن ارسال اطفالهم الى المدارس على الرغم من شحة هذه المدارس عبر التاريخ التربوي في كُردستان.

يقول ويگرام ان علائم الاصرار كانت واضحة على وجه الشيخ أي كان مصراً في رغبته لمصاحبتهم أو الالتقاء برئيس الاساقفة والطلب اليه بفتح المدارس في كُردستان لكن ويگرام كان متأسفاً لانه لم يكن يستطيع ان يؤمل الشيخ بشيء ولكنه كان واثقاً من ان اقتراح الشيخ كان نابعاً من القلب وبلا شائبة اذ يذكر ويگرام انه كان عليهم ان لايخبروا الشيخ بموعد رحيلهم (الى بريطانيا) وان يكونوا على حذر لئلا يتسرب نبأ رحيلهم فيلحق بهم لأن علائم الاصرار كانت واضحة في كلامه (١٣٧).

كذلك ابدى الشيخ رغبته في معالجة عينه حين كان مصاباً بالرمد وارسل ويگرام يستدعي طبيباً إنگليزياً من مستشفى البعثة التبشيرية في الموصل وحصل هذا فعلاً.

لقد احتجز الشيخ منزلاً لويگرام ومن معه للمبيت فيه وودعهم بإحترام وقبل الفجر بقليل زارهم مودعاً ليرد زيارة المساء -حسب تعبيره- اذ كان على عجل فقد كان يريد السفر بدوره (١٣٨).

عبيدالله الشمزيني

يتحدث مينورسكي عن الشيخ عبيدالله الشمزيني كونه قائد الحركة الكُردية التي قامت في ١٨٨٠ ويصف مينورسكي الشيخ عبيدالله بانه يتمتع بمكانة ادبية مرموقة في كُردستان، وهو الذي ساعد الأتراك في حرب ١٨٧٨ وكان هدف هذه الحركة إعلان إستقلال كُردستان.

لقد ارسل الشيخ عبيدالله الى استانبول ولكنه هرب عن طريق القفقاس الى أذربيجان، ولكن قبض عليه ثانية ونفي الى مكة.

والشيخ عبيدالله كما يذكر مينورسكي حفيد السيد عبدالله وضريحه في منطقة شمدينان، ولذا كان من المنتمين الى الطريقة الصوفية النقشبدية ومن المتمسكين بشدة واكثر من غيرهم بالتقاليد الإسلامية ويعتقدون بنقاوة دم عوائلهم.

ويتحدث مينورسكي عن مدى تأثير هذه العوائل لا على الكُرد وحسب بل حتى على أبناء القوميات الأخرى، اذ يقول مينورسكي، أتذكر جيداً يوم جاء الى الشيخ عبد القادر (ابن الشيخ عبيدالله) الضابط التركي مع فرسانه، تقدموا اليه بإحترام وانحنوا امامه بخشوع وقبلوا يده (٥٧) أي بالرغم من التباين القومي بين الشيخ والضابط والتباين في الموقف السياسي بين ثائر كردي ورجل حكومة عسكري، فإنّ (المشيخة كانت أقوى). وقد جاء في رسالة ياكيمانسكي في ٧/ايلول/١٨٧٩ المحفوظة في ارشيف السياسة الخارجية الروسية والمنشورة في كتاب خالفين، الصراع على كُردستان، ان الشيخ عبيدالله كان يتمتع بمساندة شريف مكة وخديوي مصر (١١٨).

عثمان باشا

إلتقى سون بعثمان باشا في السليمانية قبل ان يسافر الى حلبجة ويلتقي بالسيدة عادلة زوجة الباشا. وكان اللقاء عند تاجر صديق لكل من عثمان باشا وسون.

يقول سون حول هذا اللقاء مبدياً إنطباعاته انها فرصة طيبة ليتعرف رجلاً يحترم اسمه كثيراً القسم الاعظم من كُردستان وهو زعيم عظيم في قبيلة الجاف الكبيرة وحاكم حلبجة وشهرزور.

يصف في البداية زيه، وهو زي قبيلته لكنه من نوع فاخر اذ ان كل لباسه من الحرير وسترته موشاة بالذهب ويضع في حزامه خنجراً ويتدلى من جانبه مسدس صغير من نوع (برونيك) بعد ذلك يصف مظهره فيقول كان انفه صغيراً معقوفاً وقد بانت عظام وجهه على

غرار كردي شمالي اصيل ومظهره على العموم ينم عن شراسة وقسوة، وكان يتكلم جملاً قصاراً يصوغها في لهجة قبيلته ويقوم على خدمته عدد من الرجال الغلاظ وعشرون من حملة البنادق وحامل غليون وخدم اخرون مسلحون.

كانوا يقفون مع الباشا ولم يترددوا حتى في المشاركة في الحديث وما كان الباشا ليستهجن تدخلهم وعلى الرغم من كونه غنياً وقوياً لكنه لايعزل حياته عن حياة شعبه بأي وجه من الوجوه ولايعد نفسه أسمى منهم إجتماعياً كذلك فهو على صلة وثيقة بمشاعرهم يعرف تفاصيل حياة افراد قبيلته.

لقد لاحظ سون مدى إحترام الباشا لزوجته ومدى حبها له، فقد صادف عندما كان سون جالساً عنده ان جاء راكب من حلبجة وقد قطع كل هذه المسافة بين حلبجة والسليمانية ليقدم باكورة خيار الموسم الذي ارسلته زوجته له لكي يذوقه وسرعان ما ارسل الباشا احد خيالته الى حلبجة ليحمل الى زوجته شكره على مشاعرها (٢٦٣-٤).

عثمان بك

لقد سمع ريج على ما يبدو عن شخصية عثمان بك قبل ان يلقاه. ان عثمان بك هذا هو اصغر اخوان الباشا كما يقول عنه ريج وانه اكثرهم جرأة.

يذكر ريج ان منظر عثمان بك اثر فيه كثيراً فلم يكن ضخم الجثة بل مربوعاً قوي البنية. وكانت تقاطيع وجهه متناسقة غاية التناسق ولحيته سوداء مجعدة وعيناه زرقاوين غامقتين، وحاجبان سوداوين واهدابه سوداء، وسحنته خفيفة السمرة وردية جميلة نقية، لقد كان بوجه عام شاباً وسيماً جداً.

اما صفاته الأخرى فيذكر ريج، يقال عنه انه لايضاهيه من أبناء قومه احد في الفروسية وفي التمارين العسكرية المفضلة لديهم وهو مشهور ايضاً بشجاعته وكرمه ومن جهة أخرى يقال عنه انه فاسق في اخلاقه مستبد في ميوله إلى حد ما (٥٤).

بعد ان التقى ريج بعثمان بك اللقاء الاول وتحدثا خرج ريج بإنطباعات جديدة عنه فبعد ان يصف الزي الذي يرتديه وحبه لاناقته يذكر انه وجده متحدثاً رقيقاً غير متكلف وحديثه ينم عن الإخلاص. دون ان يكون أي اثر للخشونة والفضاضة فيه. وقد الفاه مهذباً في سلوكه ويرى ريج ان عثمان بك نفسه كان مدركاً لميزاته الشخصية. وكان انذاك يبلغ من العمر اثنين وثلاثين سنة أي اصغر من الباشا بسنتين.

وكذلك خرج ريج بإنطباعات عن موقفه السياسي فقد كان ميالاً إلى الحديث عن شؤون

البلاد الكُردية بحرية جاوزت الحد الذي اراده ريج -على حد تعبيره- وكذلك يقول كان من السهل الادراك انه لم يكن ميالاً للأتراك. (٥٥)

وعندما زاره ريج في داره خرج بإنطباعات جديدة تنم عن إعجاب ريج بشخصية عثمان بك. ان ملاحظة ريج حول موقف عثمان بك من موت نجله الصغير تجعلنا ندرك ان عثمان بك كان اكثر واقعية من اخيه الباشا واقل اكتراثاً بالموت إذ يقول انه ذهب لمقابلة عثمان بك لتعزيته وأجابه هذا بجمل قصيرة معتادة (هذا امر الله ولا مرد لامره واطال الله في عمر الباشا وفي عمرك) وبعد برهة -حسب ريج- بدأ عثمان بك يتحدث ويضحك كعادته، ثم فحص بعض الجياد ثم جيء له ببعض احجار الرخام ليختار منها قطعاً يزين بها قصره الجديد (١٩٣). ولو قارنا وقع موت نجل الباشا على الباشا بموت نجل عثمان بك على ابيه لامكن التعرف على مدى الفرق بين الشخصين بإزاء مسألة الموت والحياة على الرغم من عمق النزعة الدينية عند الباشا التي يفترض ان تجعل من المتدين اكثر واقعية في تقبل مصاب الموت. اذ لاحظ ريج ان حزن الباشا على ابن اخيه كان اشد بكثير من حزن عثمان بك على ابنه، فقد كان الباشا بالغ التأثر ويحبس دموعه بصعوبة ونجد اشارة إلى هذا الفرق بين الباشا واخيه عثمان بك في مذكرات ريج فيذكر ان ثمة فرقاً كبيراً بينه وبين الباشا فعلى الرغم من ان عثمان باشا بدا لريج مشغولاً ويتمتم بالصلوات رجا ريج ان لاينسى شراء الاوتار لكمنجه كان ريج قد اهداها اليه (٢١٦)... ترى هل تعلم عثمان بك العزف على الكمان؟ مسألة بقيت مجهولة لكن النزعة للفن وممارسة الهوايات لدى هذا الشخص غير مجهولة وقد اشار ريج إلى ان عثمان بك كانت له (زور خانه) أي نادي رياضي كما كان يهتم بالموسيقى ويدعو بعض الفرق المحلية أو يستدعيها من بغداد لاحياء حفلات موسيقية.

ان عثمان بك كان شديد الإخلاص لأخيه الباشا وقد أسرّ لريج سراً رجاه ان يكتمه وهو ان الباشا يفكر بالاعتزال وانه يبذل قصارى جهده لارجاعه عن عزمه. وهو يدري ان الباشا إذا اعتزل المسؤولية فان الباشوية ستعهد اليه فقد عرض عليه أمير أو شهزادة كرمنشاه هذا المنصب اكثر من مرة وكان ريج على علم بهذا العرض (٢١٨). الحقيقة ان موقف عثمان بك يقدر عالياً في مجتمع شرقي يكون التنافس فيه على السلطة تنافساً شديداً وقد عانى الباشا من خيانات اسرية فقد خانه اخوه حسن بك وكذلك عمه عبدالله باشا لكن عثمان بك كان مخلصاً لأخيه لايريده ان يتنحى عن منصبه على الرغم من كونه المرشح على الاكثر لتولي المسؤولية ولكن مع هذا قطع الباشا علاقاته مع عثمان بك وجرده من كل املاكه وصلاحياته بسبب المؤامرات والخدع التركية، فقد كانت تركيا تحاول ان تقوض اركان هذه الاسرة وتزرع بينهم روح الشقاق والفتن، وكما يقول ريج ان السلطات المجاورة ويقصد إيران وتركيا ليس بوسعها ان تدخل كُردستان بالقوة بل بهذه الدسائس والفتن (٢٢٨).

عثمان (شيخ ئوسمان)

يذكر هَيْ في مذكراته ان رسولاً جاءه يقول ان ضابطاً ومفرزة من الجند على وشك ان يدخلوا المدينة (كوي) لاعداد المكان المناسب للشيخ عثمان المعين من قبل الشيخ محمود قائمقاماً على كوي. وقبل اسابيع قليلة من هذا كان المقدم نوئيل قد زار السليمانية وتم تعيين الشيخ محمود حكمداراً على كُردستان وضمت مدينة كوي الى ولايته.

لقد شعر هَيْ بالحرج اذ كان قد عين حمه آغا حاكماً على كوي ثم جاء عثمان مرسلاً من الشيخ محمود ليكون قائمقاماً على مدينة كوي يصحبه ابن عمه شيخ عبدالله وضابط تركي سابق يدعى رشيد أفندي مع قوة تبلغ (٤٠٠) جندي.

ويصف هَيْ شخصية الشيخ عثمان انه رجل ماجد (جنتلمان) بحق وذو طابع مسالم ولين العريكة صغير الحجم نحيف البنية ويقول هَيْ انه لم ير انساناً على الرغم من نحافته على هذا الجانب من العظمة والسمو، وتمثل ذلك عندما قدم الشيخ عثمان الى السراي بعباءته المتطايرة وبمن كان يصحبه من سلسلة طويلة من الاتباع.

ويؤكد هَيْ ان الشيخ عثمان كان أمينا صادقا معه في معاملاته جميعاً كما لم يكن يصح ان يصبح حاكماً (قائممقاماً) على كوي على الرغم من وجود أناس كانوا يرغبون بذلك لقد خبر هَيْ الذي كان محرجاً من حمه آغا بعد ان اخبره ان سلطته اصبحت معلقة الآن، ان يحكم المدينة بعنوان -معتمد الشيخ محمود الخاص- وكأنه قد جاء لحسم الخلافات بين عشيرتي غفوري وحويزي.

ومن الاشياء التي يذكرها هَيْ عن الشيخ عثمان انه قد اهدى هَيْ آلة تصوير من طراز كوداك هدية له وكان قد اخذها من ضابط الماني ويختتم تقريره عن الشيخ عثمان بانه كان انيساً لطيفاً جداً (١٦٦-٧٠).

عمر آغا

تعرف ريج عمر آغا قبل وصوله السليمانية فبعد ان ضرب ريج مخيمه على الضفة اليسرى من سَرجنار حتى تم التهيؤ لدخول السليمانية وصل عمر آغا وهو ضابط كردي يقول عنه ريج، كان واجبه ملازمتنا طيلة مدة مكوثنا في كُردستان (٤٨).

يصف ريج عمر آغا بـ(الصديق الفطن) وكان بطبيعة العلاقة يكثر من محادثته ومحاورته ويبدو ان عمر آغا كان يمتلك معلومات كثيرة عن الواقع الاجتماعي والعشائري في كُردستان

(١٠٤) ويبدو ان عمر آغا الذي لازم ريج أثناء وجوده في كُردستان وكذلك أثناء سفره إلى سنه وعودته منها قد اظهر لريج الكثير من العطف لاسيّما عندما مرض ريج في الطريق ويذكر ريج ذلك من باب الوفاء، إذ غاب عن رشده وادرك من بعد انه لايستطيع السفر ابعد من (بايَن دَره) ويحدثنا ريج كيف اضطجع ناشداً الراحة تحت ظل صفصافة عند جدول جميل واحتسى كوباً من القهوة التي أنعشته واصر عمر آغا الذي يصفه بالحنون بان يشرب ملء ملعقتين من دواء الأكراد العام وهو الشنين (ماستاو) وقد جلبه لريج من (بايَن دَره) ويعترف ريج انه انتعش بالشنين أو (الماستاو) كثيراً وفي العاشرة والنصف شعرت بقدرته على قطع ما تبقى من الطريق وكان لحسن الحظ سهلاً كما يذكر (١٦٨- ١٧٠).

يصف ريج عمر آغا بانه الشرقي الوحيد الذي عرفه حتى ذلك الوقت خلال اختباراته الطويلة للعرب والأتراك والإيرانين الذي يستطيع ان يلقبه بـ(جنتلمن) بكل ما في تلك الكلمة من معنى. لقد حدّث عمر آغا ريج عن ماضي حياته وعن معاناته الحاضرة ايضاً إذ كان عمر آغا قد اقتيد إلى السجن مع اربعة أو خمسة من اقرب رجاله ويبدو انه قد عومل معاملة قاسية في السجن ويومياً ياخذون واحداً من رجاله ليجلدوه جلداً مبرحاً لاكراههم على البوح بمخبأ دار سيدهم واملاكه وربما كان الواحد منهم يجلد مرتين في اليوم وعلى الرغم من ذلك لم يبد على واحد منهم الضجر أو اعترف واجتمع رجاله في احد الأيام وتوصلوا إلى اخبار سيدهم بانهم دبروا خطة لاقتحام السجن في تلك الليلة وذبح الحراس، والفرار بسيدهم إلى كركوك ولكنه منعهم منعاً باتاً عن القيام بهذه المحاولة وكاد رجاله يموتون جوعاً خلال مدة سجنه الا انه لم يظهر أي منهم رغبته في تغيير ما هو عليه من الحال أو ترجيح خدمة أخرى على خدمته.

ويبدو من مذكرات ريج الإنطباعية ان كل رجال عمر آغا بما في ذلك عوائلهم كانوا يعيشون مع عمر آغا في السراء والضراء دون ان يضيقوا ذرعاً بالظروف السيئة التي كانت تحيط عمر آغا عندما يجور عليه الزمان، رجال يعملون ويجوعون ويرتدون أسوأ اللباس ثم عندما تتحسن احواله في عودته إلى منصبه تتحسن احوالهم هم ايضاً ولايتأففون أو يضجرون.

لقد كان عثمان بك السبب في هذه الازمات التي يلقاها فبالرغم من ان الباشا كان يوده في الحقيقة وداً اكيداً لكن عثمان كان يكره عمر آغا كرها شديداً ويحرض الباشا عليه.

ان عمر آغا كان في اعماقه يدرك ان محمود باشا غير حاقد عليه ولكنه خاضع إلى ايحاءات اخيه عثمان بك، وهذه من وجهة نظرنا نقطة من نقاط ضعف الباشا فكيف يؤذي رجلاً من رجالاته إلى هذا الحد وهو مقتنع بانه مخلص له وكان مخلصاً لابيه ايضاً. ان هذا

الذي نقوله من ضعف الباشا مسألة كان قد ادركها ريج بنفسه ولّما اوضحها بشكل أو اخر لعمر آغا لم يلق التأييد منه.

يقول ريج، لم يفكر مطلقاً في التخلي عن الباشا كما لم يبد تذمره الا عند التحدث إلى من يعتمد عليه من الاصدقاء وفي هذه الحالة لم يكن كلامه لينم عن تذمر أو تبرم بل انه صوت توجع اليم ليس الا. وعندما رثيت لضعف الباشا اجابني عمر آغا من فوره وبصدق واضح قائلاً اوكد يا سيدي بانه ليس كذلك انما هذا شأنه بازائي فقط.

ولم يكن قول عمر آغا هذا تصنعاً بل كان منبعثاً من الصميم حسب اعتقاد ريج، وهو يرى ان عمر آغا عندما قال ذلك انما كان حذراً من ان يظلم ريج سيده في الظن به وهو أي الباشا منزه عن هذا. ثم يسترسل ريج في تدوين مذكراته عن اوضاع عمر آغا فيقول، لقد انحط مستوى عمر آغا المالي لدرجة الفقر المدقع لسوء المعاملة التي يلقاها من جراء عداء عثمان بك له كما سبق ان ذكر وهو لايخفي سخطه عليه ومع هذا فهو لايشتكي بل يبذل اعظم الجهد لكي لايشعر بضيق ذات اليد وحاجته. وعلى الرغم من مصاحبته لريج منذ بضعة اشهر لم يظهر مثقال ذرة من التلميح أو الرغبة في الحصول على شيء منه ولو كان اغنى الأتراك في مكانه لما تردد في الاستجداء من ريج براحة خلال نصف تلك المدة. هذا ما يذكره ريج مضيفاً، لما ارسل تاتارا أي ساعياً للبريد إلى استنبول تلك العاصمة التي اصبحت تحوي كل ما يحتاجه المرء من المواد الكمالية والضرورية التي قد تغري أي شرقي، سأل عمر آغا عما يرغب في جلبه له منها فاجاب بانه لايتذكر احتياجه الى أي شيء وغير مجرى الحديث فوراً (١٩٥-٦).

لقد استطاع عمر آغا على ما يبدو ان يفهم شخصية ريج وحتى الامور التي يرغب ان يسمعها كاخبار العشائر واصولهم والمناطق الجغرافية في كُردستان وطرائف الامور المتعلقة بالكُرد، ويقول ريج في هذا الصدد، وصل السليمانية اليوم رجل من (دارَشمانه). وعمر آغا الذي يعلم بانني اتطلع الى طرائف الامور وارغب في استقصائها ذهب فوراً لمقابلته ووعدني بان يأتيني به غداً واطلع منه في الوقت ذاته على القضية الغريبة الرومانتيكية التي تتعلق باصل العائلة البابانية وهي قصة تقترب من الاسطورة في زواج الفقيه أحمد من امرأة اجنبية بارزها وبارزته في حرب تركيا مع الافرنج ولم يكن يدري انها امرأة الا بعد ان صرعها فاكتشف انها امرأة ثم تزوجا... وانجبا وان الاسرة البابانية بدأت من تلك الزيجة (٢٠٧-٨).

ومن الاشياء التي اسهمت في تكوين إنطباعات حسنة عند ريج بإزاء عمر آغا انه فاجأه في يوم ما بمفاجأة سارة اذ جاءه بلفافة طويلة من الورق كالحمائل أو التعاويذ في وعاء من جلد يحمل على الدوام داخل الجيب وكانت اللفافة تحوي على سلالات أمراء العائلة البابانية

من عهد سليمان باشا، وكان عمر آغا قد بحث عنها جاداً حتى عثر عليها عند احد الأكراد الذين اعتاد اجداده ان يدونوا الوقائع في تلك اللفافة مع ذكر التواريخ واقتدى هو ايضاً بهم.

يقول ريج حول ذلك، كانت الأوراق مكتوبة بالفارسية ولهذه الأوراق قيمتها العظمى التي لاتقدر اذ ان ما فيها من المعلومات ستكون الحلقة المتممة لتاريخ الأكراد فيما لو اسعدني الحظ وحصلت على نسخة من ذلك السفر المفيد وبادرت حالاً الى ترجمة ما تضمنته هذه اللفافة المدهنة (٢١٤-٥). كما ويبدي ريج إعجابه بعمر آغا عندما وجده يدرك مخططاته أي الرسوم التي كان يخططها ريج ويقول، لقد عجبت كثيراً لادراكه لها وقد ذكر لي اسماء عدة اماكن واسماء قمم وتلال وبين لي المحلات التي يجب ادخال بعض العوارض الارضية عليها في تلك المخططات وكنت قد اهملت رسمها أو ذكرها اذ لم اشاهدها، صحح لي بعض اقسامها بل انه ادرك اصغر التلال التي مررنا بها في طريقنا وهذا دليل واضح على ذكائه وعلى صحة مخططاتي في الوقت ذاته. لقد قابلت في بغداد كثيراً من الناس الذين درسوا الرياضيات بوجه خاص -كما يسمونها- ولكنهم لم يستطيعوا الاحاطة ولو قليلاً بالخرائط والمخططات. اما عمر آغا، فحالما تناول التخطيط بيده وجه المخططات الواحد بعد الاخر الى استقامة طرقنا وتابعها باصبعه دون أي تردد وان كونه جبلياً مما يزيده في ذكائه الفطري وفي تعوده على اتباع سلاسل التلال والنظر الى قيعان الوديان ذلك لان سكان البلاد الجبلية جميعاً يدركون تفاصيل المخططات بسهولة (٢١٨-٩).

الحقيقة ان عمر آغا هذا شخصية غريبة فعلى الرغم من الثقة العالية التي يوليها الباشا اليه نجده يودع التوقيف مع بعض رجاله وقد اشرنا الى ذلك وعلى الرغم من انه قريب من الباشا واسرته وحاشيته نجده يعاني من العوز وقراره مصادرة املاكه حتى ان ريج تدخل في موضوع اعادة قراه واملاكه المصادرة اذ قال ريج، ويسرني ان اذكر ان عمر آغا صديقنا العظيم لايزال(مهماندارنا) وانني راجعت الحكومة في السليمانية لتعيد اليه بعض القرى التي انتزعت منه بطريقة مزرية وقد وعدوني بذلك ارضاءً لي فبقي عمر آغا في السليمانية لاستلام القرى. وان مئتين من الرجال يعدون من محسوبيه ويعتمدون عليه في عيشتهم (٢٣٥). ويبدو ان ريج كان مسافراً فذهب معه عدد من الرجال في حين بقي عمر آغا ينتظر استلام قراه في السليمانية لكن ريج يذكر في موضع آخر من مذكراته ان عمر آغا التحق به بعد أيام ولم يستلم أي قرية من قراه (٢٣٩).

الغريب حقاً، ان يضطر عمر آغا هذا القريب من حاشية الباشا الى التوسط عند ريج الضيف لاطلاق املاكه!! ويبدو ان عمر آغا رافق ريج من السليمانية الى أربيل وهناك توادعا...

انه لشيء مؤسف حقاً هذا الذي اطلعنا عليه من خلال مذكرات ريج. انها الحقيقة المرة في التاريخ فكثيراً ما ظلم الحاكم مخلصيه. ان عمر آغا من وجهة نظرنا يبقى مثالاً لضحية كائنات لازمت الحركات الكُردية وامارات كُردستان ولم تزل هذه الكائنات فاعلة، والتي أود ان اطلق عليها اسم (البكتريا الكُردية) التي تستطيع ان تنفذ من خلال الدوائر المحيطية المتلاحقة المتعاقبة، مثل دوائر الماء عند اسقاط حصوة فيه، وصولاً إلى اقرب مقربي الحاكم ثم الحاكم نفسه وتستطيع هذه البكتريا بعد إيغالها ان تنشط بهدوء يكاد يقترب من الصمت محققة غاياتها، ومن هذه الغايات المصالح الخاصة (المتواضعة) ومنها المصالح التي تصل إلى درجة تقويض النظام بأسره لا لمبدئية بل لعمالة إلى جهة ما. وإلا ما أسباب الضغينة بين عثمان بك شقيق أمير بابان والمخلص الحقيقي للأمير وعمر آغا الفدائي للأمير؟ كلاهما يخلص للأمير، وفي النتيجة حلّت الضربات الماحقة بكليهما من الأمير نفسه ليبقى من بعد تحت رحمة البكتريا المذكورة حتى تقوض النظام وجاء زمن عادت بابان تاريخاً مضى لا غير.

غفور آغا رئيس البلدية

يوظف سون المحاورة التي جرت بينه وغفور آغا رئيس بلدية السليمانية انموذجاً على ظاهرة الريبة والشك التي كانت تسيطر على المجتمع الكُردي عموماً ومجتمع مدينة السليمانية انذاك بخاصة، وسون يعزو ذلك بقدر تعلق الموضوع بالسليمانية الى حالة العزلة التي تعيشها المدينة. ان هذه الريبة على حد اعتقاد سون انجبت اتجاهاً تساؤلياً لايطاق لدى الفرد في هذه المدينة اذ اصبح من حق كل سليماني ان يتحرى عن اهداف كل قادم جديد وهويته. ولكن بالمقابل لاحظ سون ان الفرد في مجتمع السليمانية بدوره لايمانع في تحر مقابل بل يعد ذلك فرصة للزهو الذاتي واظهار حقه في الإحترام ويبدو ان صحة المعلومات التي تجري في الحوار أو التحري أو مدى مصداقيتها ليست مسألة مهمة قدر ما ان الحوار والتحري قد جرى. ثم لايلبث ان يصبح هذا القادم موضع ترحيب ويشيع وصوله في المدينة ثم يغدو واحداً من اهلها.

زار غفور آغا سون وما ان دخل إلا نزع من قدميه زوجين جديدين من احذية بغداد وحيا بتحية فارسية ممتازة وما ان اعطاه سيكارة حتى بدأ استفساراته من دون مقدمة وهنا ندرج نص الحوار الذي دار بين هذا الزائر وسون وهو تحقيق هوية كامل وبدأ الزائر بالاستفسار:

- أين موطنك؟

- فارس.

- اية مدينة؟
- شيراز.
- اهناك كثير من اهل السليمانية في شيراز؟
- لا، اذ ليس فيها أحد منهم أبداً.
- أأنت ذاهب الى فارس؟
- لا ادري في الوقت الحاضر.
- لم لاتدري في الوقت الحاضر؟ كيف لايعرف شخص وجهته؟
- لان خططي لم توضح بعد.
- امكث هنا، انه لافضل مكان يرتجى، ماء عذب، وهواء نقي، وسكان طيبون. وما هي صنعتك؟ أأنت طبيب؟
- لا، ولم؟
- ذلك بسبب طرز لباسك الأوربي، اذ انه لايليق الا بطبيب.
- أأنت تاجر؟
- اجل قد اكون ذلك.
- ما بضاعتك؟
- الاقمشة وما جانسها وشاكلها.
- اعندك صابون معطر؟
- لا ولم تسأل مثل هذا السؤال؟
- لان احد التجار جاء من الموصل قبل عشرين سنة ومعه صابون معطر لكنه لايلائم هذا المكان.
- لِمَ؟
- لانه لم يستعمل فيما مضى، فضلاً عن ذلك ان الاطفال يموتون ان شموا رائحته.
- اذن أيموت اطفال السليمانية من الروائح؟
- اجل انهم غير معتادين عليها. اين ابتعت هذا الحذاء؟
- في كركوك.

- انه لايليق بهذا المكان لان فيها اشرطة (قياطين).

ثم سأل اسئلة أخرى وقال على حين غرة:

- ما الذي في هذه الصناديق؟

- ملابس.

- اليس فيها اشياء للبيع؟

- لا.

- أي تاجر انت وليس لك بضاعة واحمال؟

- اني اراقب الانموذجات اذ لايأتي عاقل ببضائع جديدة ما لم يتأكد من صلاحها للبيع.

- انك لتقول الحق، ولكن ما هذا الذي تحويه صناديقك؟

- قلت لك انها ملابس.

- من اين اشتريت هذه الصناديق؟

- لندن.

- في لندن؟ لم ذهبت اليها ؟

- كان لي فيها شغل.

- أي شغل هذا ؟

- شغلي الخاص، ولكل شغله وشؤونه.

- ذلك حق، لكنني جئت هنا لاقول لك، كصديق، ان من الواجب عليك الا تقيم في (خان)، اذ ان ذلك لايليق.

ويقول سون، هنا نفد صبري فبدلت مجرى الحديث وبدأت بتحرياتي الخاصة، فسألته:

- لم تلبس خاتماً من الشذر؟ سألت ذلك بحدة.

- ماذا ؟

- قلت لم تلبس خاتماً من شذر ان ذلك في بلادي لايليق.

- جئت هنا تصديق لم تسأل مثل هذه الاسئلة غير اللطيفة الهازئة؟

قال ذلك بلهجة المتألم الممتعض.

يقول سون اجبته قائلاً لان في بلدي شيراز ثمة قول سائر، ان من يزعج الغريب بالاسئلة

يتلقى قولاً بذيئاً هازئاً. وكان ان لملم عباءته الزاهية مقطباً وجهه من الغضب وانصرف معجلاً غير آبه لكلمة وداع مني، وبعد خمس دقائق جاء صاحب الخان الى الباب وهو منزعج الى حد ما وقال ان هذا الزائر كان غفور آغا رئيس البلدية صاحب الخان في الوقت نفسه (٢٥٦-٨).

كيخسرو بك

إلتقى ريج بكيخسرو بك الجاف بعد اسبوع تقريباً من وصوله السليمانية وذلك في مجلس باشا السليمانية، ويقول ريج عن هذا اللقاء، كان من بين الحاضرين كيخسرو بك رئيس عشيرة الجاف، وهي عشيرة قوية محاربة وكان البك رجلاً جميل الطلعة ومن المؤكد انني كنت اول أوربي شاهده حتى الان والظاهر انه دهش لرؤياي ولكنه لم يحملق في بفظاظة أو غباء (٧٦) ويبدو ان ريج كان يعاني من مسألة الحملقة وما زالت هذه العادة لصيقة بكثير من الناس وان كانت قد اضمحلت بين المثقفين لكنها ما زالت موجودة وبدرجات متفاوتة بين الناس وهي عملية غير مريحة ومربكة للشخص المنظور، وهي ليست لصيقة بالكُرد وحدهم بل نجدها لدى كل المجتمعات في شريحتها غير المتمدنة.

لقد زار كيخسرو بك ريج بعد يومين من لقائهما الاول، ويصف ريج رجال عشيرة الجاف في مذكراته عن هذا اللقاء الثاني اذ يقول، ان رجال هذه العشيرة وسيمو الطلعة شجعان بيد انهم يعدون حتى في نظر الأكراد انفسهم من اشد العشائر بداوة. يبدو ان كيخسرو بك كان شخصاً هادئاً ومتثاقل الخطى فقد وصفه ريج في اللقاء السابق على هذه الشاكلة وفي لقاء ثالث اشار الى ذلك ايضاً ويبدو ان كيخسرو بك قد اعجب بريج اذ يقول ريج، يظهر بانه قد كلف بي وان كلاً منا لايفهم كلمة واحدة من صاحبه، وبعد برهة من الصمت العميق غمغم ببعض الكلمات لم ادرك انها كانت موجهة الي لكن عندما كرر الغمغمة ادرت رأسي نحوه.

لقد تدخل محمود مصرف في الموضوع اذ خاطب ريج بالتركية وقال له ان كيخسرو بك يرغب عميقاً ان يراك بين عشيرته وانه سيستقبلك خير استقبال، ويعلق ريج على دعوة كيخسرو بك بالقول، انه ميال بعض الميل لقبول دعوته وان كانت عشيرته تبعد مسافة ستة أيام في اعالي جبال الحدود (٨٤).

لقد لبى ريج دعوة كيخسرو بك فرحل الى مضاربه وهو يصف الاستقبال الذي جرى له فيقول، قبيل وصولنا اليه استقبلنا البك بنفسه ممتطياً جواده الجميل، لقد كان من اجمل الخيل التي رأيتها منذ عدة سنوات مضت وكان برفقته اولاده الثلاثة وابن اخيه، وكان كيخسرو بك في حالة نفسية مرحة احسن من تلك التي رأيته فيها في السليمانية وكان انيق الملبس يرتدي معطفاً استانبولياً فاخراً بأزرار ذهبية اسبغ جمالاً على مظهره، وكانت خيام البك خيمة من

النسيج الاسود وهي واسعة عالية وتحيط بها السياجات والحصران. وقد اعد له البك خيمة ديوان يستقبل ريج زواره فيها كما استقبلت النسوة زوجة ريج ببالغ اللطف، وقد اقام البكوات الشبان ظهر ذلك اليوم مبارات استعراضية لاظهار مهاراتهم حضرها ريج وقرينته وفي اليوم التالي ودع ريج مضيفه والذي يقول عنه، لن انسى كرمه البريء مطلقاً (١٣٢).

محمد (القاضي محمد)

يتحدث إيگلتون عن انحدار القاضي محمد من اسرة زاولت القضاء فكان والده من القضاة المحترمين جداً.

تلقى ثقافته الأولى من الكتاتيب (كُتب خانه) التي توجه من قبل الملا (رجل الدين) وكان هذا الاسلوب الوحيد للتعليم الاولي آنذاك. أما ثقافته الحقيقية فقد استمدها من والده ومن كتب دونت بعدة لغات التي كانت في داره الكبيرة.

وقبل ان يصبح قاضياً عمل رئيساً لدائرة الاوقاف في مهاباد وما ان غدا قاضياً حتى صعد نجمه المؤثر بسرعة. واصبحت آراؤه حاسمة وحضوره يفرض الإحترام. وطبقاً للتقاليد فقد اصبح داره ملجأ للقتلة أو لمجرمين آخرين أو لفتاة أو امرأة وقعت في ورطة. والقاضي لم يكن انعزالياً بل كان رجلاً اجتماعياً في هذا العالم وبالرغم من الفجوات التي تكتنف حياته الثقافية فان القاضي محمد كان على وفق المعايير في مهاباد يعد شخصاً متعلماً (مثقفاً) وان وظائفه الدينية لم تمنعه من تبني نظرة تقدمية نحو الاقتصاد والسياسة والعلاقات الاجتماعية.

كانت شخصيته تفصح عن العناد وبنوع من الدكتاتورية بالرغم من كونه متواضعاً ويراعي رغبات الآخرين في الحياة العامة.

كان متحدثاً ممتازاً ومتعوداً على استخدام الجمل القصيرة ويتحدث بسلطوية ونشاط وفي حديثه وقفات بين كل إثنتين أو ثلاث أو أربع كلمات.

لقد كان القاضي دائماً مؤدباً مع الاجانب فقد كانوا يزورونه في مهاباد وفي مناسبات نادرة، وكان بوجه خاص يبحث عن صداقات وصحبة مع الأميركان.

وكان المبشرون اللوثريون والطبيب الالماني الذي يعيش في المدينة ينظرون اليه نظرة صديق. وعندما اصبح خطر الهجمات القبلية واقعاً في عام ١٩٤٢ اضطرت الانسة (داهل خانم) الأوربية الوحيدة الساكنة في مدينة مهاباد الى اخفاء ابنها الشاب ليلاً تحت سقف بيت القاضي لحمايته.

ومن بعد أصبح أصدقاؤه الروس يشغلون وقته أكثر فأكثر مما جعل القاضي أكثر احتراساً في علاقاته مع أوربا الغربية وأمريكا (٣١).

وفي موضع آخر من كتابه يبين لنا إيكلتون تردد حزب كومَلَه في مفاتحة القاضي محمد للانتماء اليه، فخلال عامين من تأسيس حزب الحكومة له كانت هناك مشكلة لم تحل وهي، هل يسأل القاضي محمد تلك الشخصية القيادية في مهاباد بالانضمام الى الحزب ام لا، واذا ما طلب منه ذلك فهل سيرفض ام سيوافق. وكان عدد من اعضاء اللجنة المركزية يعارضون قبوله لانهم كانوا يستشفون ان هذه الشخصية السلطوية سوف تسيطر على التنظيم، واخرون كانوا يعارضون قبوله لاسباب شخصية، ومع ذلك، فلم يكن ضمن تعليماتهم ونظامهم ما يمنع أو يستثني قبوله في الحزب. كما لم يكن هناك ما يمنع الاعضاء الراغبين في انتمائه من دعوته لاداء اليمين. وهكذا دعي القاضي في احد الأيام تشرين اول (اكتوبر) ١٩٤٤ الى دار أحمد الهي وكان قد اجتمع في الدار ٢٤ عضواً تحدوهم مشاعر الشد والشك.

ومن أجل ان لاتنكشف هويات كل الأعضاء للقاضي فقد تقرر ان يقوم إثنان منهم بمهمة مفاتحته وهما قاسم قادري وقادر مدرسي وفي غرفة مستقلة عن الغرفة التي ضمت الاعضاء الآخرين، واذا رفض الانضمام فعليه مغادرة الدار، واذا وافق سيؤتى به الى الغرفة الأخرى لاداء قسم الإخلاص. ولم يتردد القاضي في القبول.

وبعد ذلك وبالرغم من ان القاضي لم ينتخب عضواً في اللجنة المركزية لكنه كان الموجه وكان صوت الحزب (٣٩).

ان الحديث عن تأسيس جمهورية مهاباد وملابسات سقوطها ورد في فصل اخر من هذا الكتاب وبما اننا هنا في هذا الفصل في معرض (الشخصيات الكُردية) لذا سنقتصر على الجوانب الشخصية فقط، ولكن لابدّ من ان نذكر ان القاضي محمد اعلن قيام جمهورية كُردستان في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦. وعندما بدأ الانهيار، أي انهيار الجمهورية بعد عام من تأسيسها. أمر الجنرال همايوني الذي وصل مهاباد باستدعاء كل اعضاء اللجنة المركزية للحزب والرؤساء الكُرد البارزين ونحو ٤٥ من ابرز رجال الجمهورية جمعوا في دار البلدية في مهاباد.

لقد طلب همايوني سجلات الأسلحة الموزعة ووصولاتها ولم يكن الجواب مقنعاً، اذ كانت كل الوثائق قد احترقت في نيران الحمام العام لمدينة مهاباد، ولم يبق شاهداً سوى الرماد.

لقد اعلن القاضي محمد في ذلك الاجتماع (وكان محجوزاً) بأنه يتحمل شخصياً مسؤولية كل ما جرى، ويبدو كان قصده انقاذ زملائه. ولكن الذي حصل ان كل من غادر